اخلاق المؤمنين

الشجاعة



تأليف
أ د/علـى راشـد

رسوم
ماهر عبد القادر

المجد

رقم الإيداع: 2013/20635
المجدللنشر والتوزيع: 01006372799

عِنْدَ لِقَاءِ الْأُسْتَاذِ مَعَ تِلْمِيذِهِ وَتِلْمِيذَتِهِ، بَادَرَهُ التِّلْمِيذُ بِسُؤَالٍ فَقَالَ:

- حَدِّثْنَا يَا أُسْتَاذَنَا الْجَلِيلَ عَنْ قِيمَةِ "الشَّجَاعَةِ"؟

اِبْتَسَمَ الْأُسْتَاذُ وَقَالَ: الشَّجَاعَةُ يَا بُنَيَّ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ تَعْنِي جُرْأَةَ الْقَلْبِ وَثَبَاتَهُ، وَقُوَّةَ النَّفْسِ عِنْدَ مُوَاجَهَةِ الْمَوَاقِفِ الْخَطِيرَةِ، وَالْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الْمُخِيفَةِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"

(سورة الأنفال: آية 45).



قالَتِ التِّلْمِيذَةُ: لَقَدْ قرَأْتُ فِي مَجَلَّةِ الْمَدْرَسَةِ أَنَّ رَسُولَ اللّٰه صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَشْجَعَ الرِّجَالِ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِي اللّٰه عَنْهُمْ إِذَا اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ، وَحَمِيَ الْقِتَالُ فِي غَزْوَةٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ، يَحْتَمُونَ خَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ تَعَلَّمُوا جَمِيعًا الشَّجَاعَةَ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

قَالَ الْأُسْتَاذُ: أَحْسَنْتِ الْقَوْلَ، وَأُحِبُّ أَنْ أُضِيفَ هُنَا يَا أَبْنَائِي أَنْ لَيْسَتِ الشَّجَاعَةُ فَقَطْ فِي الْقِتَالِ؛ بَلْ هِيَ أَيْضًا عِنْدَ قَوْلِ الْحَقِّ، وَعِنْدَ الاعْتِرَافِ بِالْخَطَأِ، وَعِنْدَ إِنْقَاذِ شَخْصٍ مِنْ مَوْقِفٍ خَطِرٍ، مِثْلَمَا حَدَثَ مَعَ "عَدْنَانَ".



وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ قالَ التِّلْمِيذُ: وَمَنْ هُوَ "عَدْنَانُ" هَذَا؟
أَجَابَ الْأُسْتَاذُ: "عَدْنَانُ" هَذَا يَا بُنَيَّ كَانَ شَابًّا رِيَاضِيًّا، قَوِيَّ الْبَدَنِ، مُؤْمِنًا بِرَبِّهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقٍ نَحْوَ اللهِ وَنَحْوَ النَّاسِ.



وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ كَانَ "عَدْنَانُ" يَسِيرُ بِالْقُرْبِ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ الَّتِى كَانَتْ أَمْوَاجُهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ عَالِيَةً يَصْعُبُ مَعَهَا السِّبَاحَةُ فِي الْبَحْرِ.



وَسَمِعَ "عَدْنَانُ" أَصْوَاتَ اسْتِغَاثَةٍ مِنْ بَعْضِ الْبَشَرِ، وَهُمْ يُشَاوِرُونَ إِلَى شَخْصٍ يُوشِكُ عَلَى الْغَرَقِ دَاخِلَ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ الْعَاتِيَةِ، يَرْتَفِعُ مَعَهَا وَيَنْخَفِضُ مَعَهَا، وَيُشِيرُ بِيَدَيْهِ ..



ويَصْرُخُ وَيَقُولُ: أَنْقِذُونِي... أَنَا أَغرَقُ .. أَنَا أَمُوتُ..
وَلَمْ يَنْتَظِرْ "عَدْنَانُ" لَحظَةً.
فَأَسْرَعَ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي مِيَاهِ الْبَحْرِ رَغْمَ أَمْوَاجِهِ الْعَالِيَةِ.



وَأَخَذَ يَسْبَحُ بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ مُذْهِلَةٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْفَتَى الَّذِى
كَادَ يَغْرَقُ وَيُموتُ، فَسَحَبَهُ بِقُوَّةٍ، وَأَخَذَ يَسْبَحُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ نَاحِيَةَ
الشَّاطِئِ حَتَّى وَصَلَهُ، وَلَمْ يَتْرُكْ الْفَتَى حَتَّى قَامَ بِعَمَلِ
الإِسْعَافَاتِ الْأَوَّلِيَّةِ لَهُ، وَحَتَّى أَفَاقَ مِنْ غَيْبُوبَتِهِ.



قالَتِ التِّلْمِيذَةُ: اللّٰه يَا أُسْتَاذُ مَا أَجْمَلَ تِلْكَ الشَّجَاعَةَ الَّتِى تَحَلَّى بِهَا "عَدْنَانُ" وَلَكِنَّ يَا أُسْتَاذَنَا مَا عَكْسُ قِيمَةِ الشَّجَاعَةِ؟

رَدَّ الْأُسْتَاذُ: عَكْسُ قِيمَةِ الشَّجَاعَةِ يَا بُنَيَّتِي رَذِيلَةُ الْجُبْنِ. فَبَعْضُ أَبْنَاءِ الْبَشَرِ يَحْمِلُونَ هَذِهِ الرَّذِيلَةَ، وَمِنْهُمْ الْمَدْعُو "رِفْقِي".



أَكمَل الْأُسْتَاذُ: "رِفقِي" هَذَا كَانَ أَحَدِ أَفْرَادِ مَجْمُوعَةٍ قِتَالِيَّةٍ، تُحَارِبُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَعْدَاءِ وَيَفْصِلُ بَيْنَ الْمَجْمُوعَتَيْنِ نَهْرٌ صَغِيرٌ.



وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَرَّرَتِ الْمَجْمُوعَةُ أَنْ تَعْبُرَ النَّهْرَ الصَّغِيرَ عِنْدَ الْفَجْرِ، وَتَقُومَ بِمُفَاجَأَةِ الْعَدُوِّ، لِكَىْ يَأْخُذُوهُ عَلَى غِرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِلْقِتَالِ فِى هَذَا الْوَقْتِ الْمُبَكِّرِ.



وَبِالْفِعْلِ وَعِنْدَ الْفَجْرِ اسْتَعَدَّ أَفْرَادُ الْمَجْمُوعَةِ لِلْمَعْرَكَةِ وَعُبُورِ النَّهْرِ الصَّغِيرِ، إلّا أَنَّ صَاحِبَهُمْ "رِفْقِي" ادَّعَى الْمَرَضَ، وَأَنَّ هُنَاكَ أَلَمًا شَدِيدًا أَصَابَ مَعِدَتَهُ، وَأَخَذَ يَتَلَوَّى عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ هَذَا الْأَلَمِ، فَاتَّخَذَ قَائِدُ الْمَجْمُوعَةِ قَرَارًا بِأَنْ يَتْرُكَ الْجُنْدِيَّ "رِفْقِي"



فِي الْمَوْقِعِ وَغَادَرَتِ الْمَجْمُوعَةُ مَوْقِعَهَا فِي طَرِيقِهَا لِأَدَاءِ مُهِمَّتِهَا الْقِتَالِيَّةِ وَتَرَكَتْ "رِفْقِي" الَّذِى ابْتَسَمَ بِخُبْثٍ بَعْدَ رَحِيلِهِمْ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنَّهُمْ جَمِيعًا مُعَرَّضُونَ لِلْقَتْلِ، أَمَّا أَنَا فِي مَكَانِي هَذَا أَبْعَدُ مَا أَكُونَ عَنِ الْمَوْتِ.



وَفِي اللحْظَةِ نَفْسِهَا كَانَتْ مَجْمُوعَةُ الْعَدُوِّ قدْ خَطَّطَتْ لِعُبُورِ النَّهْرِ الصَّغِيرِ عِنْدَ الْفَجْرِ وَقتْلِ كُلِّ مَنْ أَمَامَهُمْ، وَعِنْدَمَا عَبَرَتِ الْمَجْمُوعَةُ الْقِتَالِيَّةُ الْأولَي النَّهْرَ، وَأَخَذَتْ تَبْحَثُ عَنْ جُنُودِ الْأَعْدَاءِ فَلَمْ تَجِدْ شَيْئًا.



بَيْنَمَا الْمَجْمُوعَةُ الْقِتَالِيَّةُ الْمُعَادِيَةُ حِيَن عَبَرَت النَّهْرَ الصَّغِيرَ وَجَدَتْ فِي الْمَوْقِعِ جُنْدِيًّا وَاحِداً فَقَطْ هُوَ "رِفْقِي" فَقَتَلَتْهُ فِي الْحَالِ، وَكَانَتْ آخِرُ كَلِمَاتٍ قَالَهَا "رِفْقِي" قَبْلَ مَوْتِهِ:

- لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَ أَصْحَابِي، وَلَكِنَّ هَذَا جَزَاءُ جُبْنِي.



قَالَ الْأُسْتَاذُ: وَهَكَذَا نَجِدُ يَا أَبْنَائِي أَنَّ مَنْ حَرَصَ عَلَى الْقِتَالِ وَلَمْ يَهَبِ الْمَوْتَ فَإِنَّهُ تُكْتَبُ لَهُ الْحَيَاةُ أَمَّا الْجَبَانُ الَّذِى ظَنَّ أَنَّ جُبْنَهُ سَيُنْقِذُهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ سَتُكْتَبُ لَهُ الْحَيَاةُ لَاقَى حَتْفَهُ.

قَالَتِ التِّلْمِيذَةُ: حَقًّا.. إِنَّ الشَّجَاعَةَ أَنْقَذَتْ أَصْحَابَهَا، بَيْنَمَا الْمَوْتُ أَهْلَكَ أَصْحَابَهُ.

قَالَ الْأُسْتَاذُ: فِي الْمَعَارِكِ.. الَّذِى يَكُونُ شُجَاعًا وَيَحْرِصُ عَلَى الْمَوْتِ تُوهَبُ لَهُ الْحَيَاةُ، وَبِذَلِكَ انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَائِلُ فِي مَعَارِكِهِمْ وَغَزَوَاتِهِمْ.

